سلسلة طباعة الكتب السلفية ١١٧

مختصر

نهج الاقتصاد

شرح حائية الاعتقاد

للإمام ابن أبي داود
المتوفى سنة (٣١٦) رحمه الله تعالى

تصنيف
الصغيّر بن عمّار
غفر الله له ولوالديه

قدّم له فضيلة الشيخ الدكتور
محمد هشام الطاهري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

مُخْتَصَرُ

نَهْجِ الاقْتِصَادِ

شَرْحُ حَائِيَّةِ الاعْتِقَادِ

لِلْإِمَامِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ

المتوفى سنة (٣١٦) رحمه الله تعالى

تَصْنِيفُ

الصغَيِّر بن عمَّار

غفر الله له ولوالديه

قدَّم له فضيلةُ الشَّيخ الدُّكتور

مُحَمَّد هِشَام الطَّاهِري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين


محفوظة جميع الحقوق
لكل مسلم يبتغي نشر الكتاب لوجه الله تعالى


مختصر
نهج الاقتصاد
شرح حائية الاعتقاد

تقريظ الشيخ محمد هشام الطاهري

الحمد لله الكريم الحميد، أحمده سبحانه العظيم المجيد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نديد، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله المرسَل إلى العالمين، صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه المهتدين، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وبعدُ؛

فقد تصفَّحْتُ ما قام به أخونا الشيخ الدكتور/ **الصغيَّر بن عمَّار** -وفقه الله- مِن شرح لطيفٍ، وموجَز لفيفٍ، فيما يتعلق بشرح حائية ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسماه:

«مختصر نهج الاقتصاد شرح حائية الاعتقاد»

وألفَيت شرحَه مختصَرًا مفيدًا، مرتَّبًا نافِعًا، لعموم المسلمين، لا سيما في هذه الأزمنة التي صار الناسُ فيها إلى المختصَرات، وأعرَضوا عن المطوَّلات.

ومما زاد في رَونق هذا الشرح طريقة العرض؛ فجزاه الله خيرًا على صنيعه، وبارك في علمه وعمله، وجعل ذلك في موازين حسناته، وشكر الله له، ولمن نشر مؤلَّفه، أو قرأه، أو استفاد منه، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد خير البرية، وعلى آله وأصحابه خير البشرية، والحمد لله رب العالمين.

كتبه/ د. محمد هشام الطاهري **١٠/ ٠٧/ ١٤٤٢ هـ**



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المختصر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وعلى آله وصحبه. أما بعد،

فقد يسَّر الله لي -بفضله- شرح «المنظومة الحائية» لصاحبها الحافظ أبي بكر ابن أبي داود السجستاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٣٠-٣١٦هـ)، وسميت كتابي: «**نهج الاقتصاد شرح حائية الاعتِقاد**»[١].

ولما كان فيه نوعُ طول قد يحول دون الاستفادة منه، عَمدتُ إلى اختصاره في هذه الورقات لعل الله ينفع به، فكم من مُختَصَر فاق أصلَه شُهرةً ونفعا، ولله الأمر من قبلُ ومن بعد.

١- وقد تم نشره عبر الشبكة، ويمكن تحميله عن طريق هذا الرابط 📄:
https://bit.ly/2QiV7nh

وكلُّ ما في هذا المختصر موجود في الأصل -مع العزو والإحالة-، فمن راجعه وجد التفصيل[1]، واللهُ حسبي ونعم الوكيل.

وكتب: الصغيّر بن عمّار

ليلة السبت ٠٩ من جمادى الأول لعام ١٤٤١

الموافق لـ ٠٤ جانفي ٢٠٢٠ بمدينة «ليون» بفرنسا

١- ومن أراد استماع الشرح الصوتي على المنظومة، فعلى هذا الرابط 🔈:
https://bit.ly/30Dx0D9

نص المنظومة

قال الحافظ الثقة أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبعِ الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ

ودِنْ بكِتابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي ... أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

وقُلْ غَيْرُ مَخْلوقٍ كَلامُ مَليكِنا ... بِذلك دانَ الأتْقِياءُ وأَفْصحُوا

ولا تَكُ في القُرآنِ بالوَقْفِ قَائِلاً ... كما قال أتْبَاعُ لِجَهْمٍ وأَسْجَحُوا

ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقٌ قرأتُهُ ... فإنَّ كلامَ اللهِ باللَّفْظِ يُوضَحُ

وقُلْ يَتجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرةً ... كما البدْرُ لا يَخْفى وربُّكَ أَوْضَحُ

وليسَ بمَوْلُودٍ وليسَ بوالِدٍ ... وليسَ لهُ شِبْهٌ تَعالَى المسَبَّحُ

وقد يُنكِرُ الجَهْمِيُّ هَذا وعِندَنَا ... بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيرٌ عن مَقالِ مُحمَّدٍ ... فقُلْ مِثْلَ ما قد قَالَ في ذاكَ تَنْجَحُ

وقد يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أيضًا يَمِينَهُ ... وكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

وقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ في كُلِّ لَيْلَةٍ ... بلا كَيْفَ جَلَّ الواحدُ المتَمَدِّحُ

إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ

يقُولُ ألاَ مُستَغفِرٌ يَلقَ غافِراً ... ومُستَمْنِحٌ خيراً ورِزقاً فيُمْنَحُ

رَوى ذاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثُهم ... ألا خابَ قَومٌ كذَّبوهُمْ وقُبِّحُوا

وقُلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيراهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ

ورابعُهُمْ خَيْرُ البرِيَّةِ بَعْدَهُم ... عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ بالخَيرِ مُنْجِحُ

وإنَّهُمُ للرَّهْطُ لا رَيْبَ فيهِمُ ... على نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بالنُّورِ تَسْرَحُ

سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحةٌ ... وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

وقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ ... ولا تَكُ طَعَّاناً تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

فقد نَطَقَ الوَحْيُ المُبينُ بفَضْلِهِمْ ... وفي الفَتْحِ آيٌ للصَّحابةِ تَمْدَحُ

وبالقَدَرِ المقْدُورِ أيقِنْ فإنَّهُ ... دِعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَحُ

وَلا تُنْكِرَنْ جَهلاً نَكِيرًا ومُنْكَراً ... ولا الحَوضَ والميزانَ إنَّكَ تُنْصَحُ

وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظيمُ بفَضلِهِ ... مِن النارِ أجْسادًا مِن الفَحْمِ تُطْرَحُ

على النَّهرِ في الفِردوسِ تَحْيا بمائهِ ... كَحِبِّ حَميلِ السَّيْلِ إذ جَاءَ يَطْفَحُ

وإنَّ رَسُولَ اللهِ للخَلقِ شَافِعٌ ... وقُلْ في عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ

ولا تُكْفِرَنْ أهْلَ الصَّلاةِ وإنْ عَصَوْا ... فكلُّهُمُ يَعْصِي وذو العَرشِ يَصْفَحُ

ولا تعتقِدْ رأيَ الخَوارجِ إنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ

ولا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بدينِهِ ... ألا إنَّمَا المُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ

وقُلْ إنَّما الإيمانُ قَوْلٌ ونيَّةٌ ... وفعْلٌ على قَولِ النبيِّ مُصَرَّحُ

ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمعَاصِي وتَارةً ... بطَاعَتِهِ يَنْمِي وفي الوَزنِ يَرْجَحُ

وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم ... فقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزكى وأَشْرَحُ

ولا تَكُ مِن قومٍ تَلَهَّوْا بدينِهِم ... فَتَطْعنَ في أَهلِ الحَدَيثِ وتَقْدَحُ

إذا مَا اعتقدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِهِ ... فَأَنتَ عَلى خَيْرٍ تَبيتُ وتُصْبحُ



بداية المختصر

مصدر التلقي عند أهل السنة والجماعة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبعِ الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بكِتابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي ... أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

قوله: (تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ)، أي: يا أيها المسلم السني المتبع لطريقة السلف الصالح، اعتصم وتعلَّق (بحَبْلِ اللهِ)، كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والمراد بـ (بحَبْلِ اللهِ) هنا القرآن، بدلالة السياق، لأنه جاء بعده ذكرُ السنة، فقال: (واتَّبع الهُدَى)، أي: سنة النبي

صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهاجه.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ**)، فبعد أن نصح القارئ بالإقبال على السنة، حذره من الرُّكون إلى ضِدِّها وهو البدعة.

والشريعة مبنية على النفي والإثبات، ومن ذلك كلمة التوحيد فهي متكونة من شطرين: «لا إله» وهو النفي، و«إلا الله» وهو الإثبات. فكذلك، يجب علينا أن نقبل على السنة، وذلك لا يكون إلا برد البدعة، ولهذا قال: (**ولا تَكُ بِدْعِيًّا**)، أي: صاحب بدعة، قولًا وعملًا واعتقادًا، نابذًا للكتاب والسنة ومخالفا لمنهج السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. وقوله (**ولا تَكُ**)، أي: لا تكُن، والنون حُذفت تخفيفا، وقوله: (**بِدْعِيًّا**)، نسبة إلى البدعة، وهي: «**ما أُحدِثَ في الدِّينِ مِمَّا لَيس مِنه بِقَصد التَعَبُّد**».

فمن اتبع الكتاب والسنة، وترك ما ينافيهما من الشرك

والبدع والمحدثات، فهو الناجي في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: (لَعَلَّكَ تُفْلِحُ).

وقوله: (لَعَلَّكَ)، تحتمل أمرين:

- **التحقيق**: لأنَّ من تمسك بالكتاب والسنة سيفلح حتما، بالنظر إلى النوع.
- **أو الترجِّي**: بالنظر إلى المُعيَّن، إذ لا يمكن الجزم لأحد بتحقق الفلاح بغير نص.

والفلاح هو جماع الخير في الدنيا والآخرة، فقوله: (لَعَلَّكَ تُفْلِحُ)، أي: عساك تظفر بكل خير في الدنيا والآخرة.

ثم قال: (وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ)، أي اجعل دينك الذي تدين الله به قائما على (كِتَابِ اللهِ)، الذي من تمسك به اهتدى، ومن حاد عنه ضلَّ وغوى، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾

[طه: ١٢٣ - ١٢٤].

وفي قول الناظم: (**وَدِنْ بِكِتَابِ الله**)، إشارة إلى أن كتاب الله متواتر قطعي الثبوت، ولا يختلف فيه المسلمون.

وقوله: (**والسُّنَنِ**)، السنن: جمع سنة، والمقصود بها: ما نُقل عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول وفعل وتقرير. وفي قوله: (**أتتْ عن رَسُولِ الله**) إشارةً إلى أنَّ العقيدةَ تُؤخَذُ من الأحاديث الصحيحة، آحادا كانت أو متواترة.

ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ جزاء مَن تمسك بالكتاب والسنن الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: (**تَنْجُ**)، ولكنه لم يبيِّن الأمر الذي ينجو منه السني بهذه الاستقامة على الوحيين، والجواب أن يقال: إن أهلَ السنة يُسَمَّون بالطائفة المنصورة والفرقة الناجية، **ونجاتهم من جهتين:**

- **الأولى: نجاتهم في الدنيا**: من البدع والشبهات والمسالك المنحرفة التي تؤدي إلى الحيرة والضياع، مع ضيق الصدر،

وعدم تيقن القلب طمأنينته.

- **والثانية: نجاتهم في الآخرة**، وذلك يكون بالنجاة من عذاب الله يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[الأعراف: ١٧٠].

ثم قال: (**وَتَرْبَحُ**)، **وهذا يكون بأمرين:**

- **الأول: الربح في الدنيا**: بالاهتداء والثبات على طريق الحق، وهذا أمر عزيز سيما في زمان الفتنة، وضعف ظهور السنة، وتكالب أهل الكفر والأهواء على أهل المنهج الحق.
- **والثاني: هو الربح في الآخرة**، وذلك بدخول جنة عرضها السموات والأرض، أعدها الله لعباده المتقين، وعلى

رأسهم أهل السنة والحديث.[١]

وعلى هذا، **فيكون** قولُه: (**تنجُ**) **من باب التخلية**، وقولُه: (**تربح**) **من باب التحلية**.

١- ولهذا لما ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ نعيمَ أهل الجنة في آخر «النونية»، قال: «فصل: فيما أعدَّ الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة». وانظر «حادي الأرواح» (ص ١٣، ٤١٦).

مسألة الكلام

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقُــلْ غَيْــرُ مَخْلــوقٍ كَــلامُ مَليكِنــا
بــــذلك دانَ الأَتْقِيــــاءُ وأَفْصــــحُوا

ولا تَــكُ فــي القُــرآنِ بــالوَقْفِ قَــائِلاً
كما قــال أَتْبَــاعٌ لــجَهْمٍ وأَسْــجَحُوا

ولا تَقُــــلِ القُــــرآنُ خَلــــقٌ قرأْتُــــهُ
فــإنَّ كـــلامَ اللهِ بـــاللَّفْظِ يُوضَـــحُ

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقُلْ غَيْرُ مَخْلوقٍ كَلامُ مَليكِنا**)، أي: قل يا صاحب السنة إن كلام الله جل وعلا غير مخلوق. والمليك هو الله، فهو مالِك مَلِك مَلِيك، له الملك كله سبحانه.

فالقرآن غير مخلوق، ولهذا فرَّقَ الله جَلَّجَلَالُهُ بين الخَلق والأمر بقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤]،

والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى: ٥٢].

يقول العلامة ابن عدّود رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]:

ألا لــهُ الخلــقُ والأمــر، العَطْــفُ دَلْ

أنْ لَــيسَ خَلْقَــًا مَــا مِــنَ الأمــر نَــزَلْ

قال: (**بذلكَ دَانَ الأتْقِياءُ وأَفْصحُوا**) أي: بهذا الاعتقاد آمن وصدَّق وتَعَبَّد (**الأتقِياءُ**) جمع تقي: وهو الذي جعل بينه وبين سخط الله وقاية بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وتصديق خبره.

ووصفَ الناظمُ أهلَ السنة بأنهم أتقياء، لأنهم اتقوا الشهوة بالصبر، واتقوا الشبهة باليقين، وبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين.

١- «مجمل اعتقاد السلف» (ص ٢١).

قال: (**وأَفْصحُوا**) أي: صرَّحوا وقرروا وأبانوا، بلا مداهنة ولا مجاملة، لأنهم صادقون في هذه العقيدة، يؤمنون بها سرا وعلانية، ليس عندهم ازدواجية، ولا تقلب، بخلاف أهل الأهواء الذي هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، مجانبون للحق والصواب.

يقول ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[آل عمران: ٨٤]، الآية: «**في قوله: (قُلْ) إشارة إلى الإعلان بالعقيدة والصدع بها** والدعوة لها، إذ هي أصل الدين وأساسه». انتهى.

وأهلُ السنة والجماعة يقولون: إن الله جلَّ وعلا يتكلَّمُ، وكلامه غيرُ مخلوق، لأن الكلام صفةٌ ذاتيَّة له من حيثُ النَّوع، باعتبار اتِّصافه بها أزلًا، فإنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يَزَل

١- «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن» (ص ١٤).

مُتكَلِّمًا، وهي فِعليَّة له من حيثُ الأفراد، باعتبار تعلُّقها بالمشيئة والإرادة، فإنَّ الله جَلَّجَلَالُهُ يتكلَّمُ بها شاءَ، متى شاء، كيفَ شاء.

والكلامُ صِفَة قائمَةٌ به تعالى، فلا تقُوم بغيره خلافًا لأهل البدع، وكلامه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مَسموعٌ بالآذان حَقيقَةً من غير تَوَهُّمٍ، والقرآن كلام الله حقيقَةً، لَفظًا ومعنًى، وكما أنَّ الله ليس كمثله شيء، فكذلك كلامه ليسَ ككلام خَلقه، وصَوتُه جَلَّجَلَالُهُ ليسَ كأصوات خَلقِه.



التحذير من مذهب الواقفة في كلام الله

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تَــكُ فــي القُــرآنِ بــالوَقْفِ قَــائِلاً
كمــا قــال أتْبَــاعٌ لــجَهْمٍ وأَسْــجَحُوا

أي: يا صاحب السنة لا تتوقف في القرآن، كحال الذين تأثَّروا بمذهب الجهم بن صفوان فقالوا: «لا نقول: القرآن مخلوق، ولا غير مخلوق»، وهؤلاء لم يعتقدوا -على الحقيقة- أنَّ كلامَ الله غير مخلوق.

والواقفة شر من الجهمية، لأنهم شكوا في الله، واستمالوا بهذا القول العامة، ولبَّسوا عليهم[1]، ولهذا قال الناظم: (**كما قَالَ أتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا**)، ومعنى (**أَسْجَحُوا**)، أي: لانت أنفسهم بهذا القول وسهلت ألفاظهم به، وفي نسخة

١- انظر «الشريعة» (١/ ٥٢٦)، و«الإبانة الكبرى» (٥/ ٢٨٤).

(**وأَسْمَحُوا**)، أي سمحت أنفسهم بهذا القول، فانقادت له، فتابعته، وهو قريب من معنى (**أَسْجَحُوا**).

فأهل السنة أفصحوا بالحق، وهؤلاء أسجحوا بالباطل، ففرَّق الناظم بين اللفظين لِما يُعلم من الفرق بين الطائفتين.



التحذير من مذهب اللَّفظية والألفاظ المجملة عامة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تَقُــلِ القُـــرآنُ خَلــقٌ قرأتُـــهُ فـــإنَّ كـــلامَ اللهِ بـــاللَّفْظِ يُوضَـــحُ

أي: لا تقل يا صاحب السنة: إن قراءتي أو لفظي بالقرآن مخلوق، لأنه لفظ مجمل لا يليق بأهل السنة الذين يصرحون بعقيدتهم، ويعبرون عنها بالألفاظ الواضحة التي لا لبس فيها، (فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ)، **وكلام الله هو اللفظ والمعنى**، فالمعنى غير مخلوق، واللفظ كذلك غير مخلوق.

فإذا قلنا: المعنى غير مخلوق، رددنا على الجهمية والمعتزلة، القائلين صراحة بخلق القرآن، وأن كلامه سبحانه شيء منفصل عنه، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرا.

وإذا قلنا: اللفظ غير مخلوق، رددنا أيضا على الكلابية والأشاعرة والماتريدية، لأنهم قالوا: القرآن الذي بين أيدينا

ألفاظُه مخلوقة، ومعناه النفسي القديم غير مخلوق، وعليه فلا خلاف بينهم وبين المعتزلة في أن القرآن العربي مخلوق.[١]

ومذهب اللفظية أنكره أهل السنة، **لأنَّ من القواعد الشرعية: البُعدَ عن الألفاظ المجملة والمُشتبهة، إذ هي أصل ضلال بني آدم، لأنَّها حمالة وجوه، وعُرضةٌ للمُحِق والمُبطِل، يَسهُل بها إنفاق الباطل بين الناس، ولا سيما إذا صادفت أذهانا مخبطة، فكيف إذا انضاف إلى ذلك هوى وتعصب!؟**[٢]

فمن قال: «لفظي بالقرآن مخلوق»:

١- **ومن العجيب أنَّهم قرروا أنَّ القول بخلق القرآن لا يُقال إلا في مقام التعليم!** كما صرَّح به البيجوري (تـ ١٢٧٧هـ) في «تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد» (ص ٨٢) لما قال: «ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثا (أي مخلوقا) لا يجوز أن يُقال: القرآن حادث إلا في مقام التعليم.»!؟

٢- انظر «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٧٦)، و«مدارج السالكين» (٣/ ١٥٧)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٣٧، ١٣٨، ٢٦٣).

- **فإما أن يقصد اللفظ أي حقيقة التلفظ** وحركة اللسان والصوت، **وهذا مخلوق.**
- **وإما أن يقصد به الملفوظ** أي المقروء، **وهذا غير مخلوق،** لأنه كلام الله.



صفة التجلي ورؤية الله يوم القيامة

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقُـــلْ يَتَجلَّـــى اللهُ للخَلْـــقِ جَهْـــرةً
كما البـدْرُ لا يَخْفـى ورَبُّـكَ أَوْضَـحُ

ولَـــيْسَ بمولُـــودٍ ولـــيسَ بوالِـــدٍ
ولَـيسَ لـهُ شِـبْهٌ تَعَـالَى المسَـبَّحُ

وقـد يُنكِـرُ الجَهْمـيُّ هَـذا وعِنْـدَنَا
بـمِصْدَاقِ مـا قُلْنَـا حَـدِيثٌ مُصَـرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيـــرٌ عـــن مَقـــالِ مُحمَّـــدٍ
فقُلْ مِثْـلَ مـا قـد قَـالَ في ذاكَ تَـنْجَحُ

قوله: (وقُلْ يَتَجلَّى اللهُ)، وهذا بيان لصفة التجلي، فإن الله يُرى ويتجلى لخلقه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ كيف يشاء.

وقوله: (وقُلْ يَتَجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرةً)، (أل) في كلمة «الخلق» دخلت على المفرد فتفيد العموم، أي: عموم الخلق،

ولكن المصنف لا يريد عموم الناس هنا، فيكون قوله: (لِلخَلْقِ) مقصودا به بعضُ الخلق، لأننا نقطع بأن الكفار محجوبون عن الله، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥]، وحجبهم هنا إنما هو عن رؤية الإنعام والتشريف إجماعا، **وأما رؤية الامتحان والتعريف، فهذه مما اختلف فيه أهل العلم.** [١]

وقوله: (جَهْرَةً)، أي: بأمر واضح بيِّنٍ جِهاراً، (كَمَا البدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّك أَوْضَحُ)، فشبَّه الرؤية بالرؤية، في وضوحها وعدم التباسها، (ورَبُّك أَوْضَحُ) أي: أنَّ رؤية المؤمنين لربهم أوضح من رؤيتهم للبدر، فإن البدر إذا رأيناه لا نشك فيه،

١- انظر «كتاب التوحيد» لابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٤٢٠)، و«مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٧)، و«حادي الأرواح» (ص ٢٨٨)، و«معارج القبول» (١/ ٣٣٣).

وكذلك رؤية الله جَلَّجَلَالُهُ، بل ستكون أوضح وأعظم وأبعد عن كل شك.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولَــيْسَ بمَولُــودٍ ولَــيسَ بوالِــدٍ
ولَــيسَ لَــهُ شِــبْهٌ تَعَــالَى المسَــبَّحُ

في هذا البيت تنزيه لله سبحانه، وأنه غير مماثل لخلقه، وهذا البيت ربما استشكله طالب العلم، وظنه مدرجا وسط الكلام عن الرؤية، والجواب كما قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ولما كان ربما توهَّم متوهِّم مِن لازم التجلِّي والانكشاف والرؤية الجسميةَ قياسًا على ما هو معايَن من المخلوقين، دفع الناظم ذلك الوهم بقوله: (**وليس**) الله تبارك وتعالى (**بمولود**) ولده والد (**وليس**) هو تقدس وتعالى (**بوالد**)

١- «لوائح الأنوار السنية» للسفاريني (١/ ٢٧٦)، بتصرف يسير.

لشيء من المولدات ولا الملائكة ولا عيسى بن مريم، ولا العُزَير عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ولا غيرهم (**وليس له**) سبحانه (**شِبه**) لا في ذاته المقدسة، ولا في صفاته المنزهة، ولا في أفعاله سبحانه، (**تعالى**)، ارتفع قدره وتقدس (**المسبَّح**) أي المنزَّهُ عن أن يكون والدا لشيء أو مولودًا في شيء، أو شبيهًا لشيء، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس له شبيه، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله». انتهى.

وقـد يُنكِـرُ الجَهْمِـيُّ هَـذا وعِنْـدَنَا
بـمِصْدَاقِ مـا قُلْنَـا حَـدِيثٌ مُصَـرِّحُ

(**وقَدْ يُنكِرُ الجَهْميُّ هذا**)، والإشارة في (**هذا**) تعود على ما قبلها، أي هذه الرؤية، فإنَّ الجهميَّ يزعم أنَّ الله لا يُرى، كما يزعم أنَّ الله لا يُحِب ولا يُحَب، فخلت قلوبهم من محبة الله، وحقيق بهم أن يُحرموا من رؤية الله، جَلَّ جَلَالُهُ.

و(**الجَهْميُّ**) هنا لقب يدخل فيه أهل البدع الذين أنكروا رؤية الله، من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، (**وعِنْدَنَا**) أي أهل السنة، (**بـمِصْدَاقِ ما قُلنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ**)، وفي هذا تأكيد لما قرره الناظم في أول نظمه من الاهتمام بمصادر التلقي، فكل ما يقرره أهل السنة لهم فيه دليل، لأنهم ظاهرون بالحجة والبرهان في كل زمان، بخلاف ظهورهم بالسيف والسنان، فإنه كائن في بعض الأزمان دون بعض.

ثم قال الناظم مدَلِّلا على قوله الحق في الرؤية، ورادًّا على الجهمية باطلَهم: (**وعِنْدَنَا بـمِصْداق**) أي تصديقاً لما قلنا، (**حديثٌ مُصَرِّحُ**)، وجاء في بعض النسخ (**مُصَحَّحُ**)، وكلاهما صحيح، فهو حديث صحيح سنداً وروايةً، صريح متناً ودرايةً، فلا يشك فيه إلا ظالم، وإلا فهو واضح بيِّن.

وهذا الحديث:

رَواهُ جَرِيــــرٌ عـــن مَقـــالِ مُحمَّـــدٍ
فقُـلْ مِثْـلَ مـا قَـدْ قَـالَ في ذاكَ تَـنْجَحُ

(رَواهُ جَرِيرٌ)، أي: جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي روى حديث الرؤية، (عن مَقالِ مُحمَّدٍ) أي: يرويه عن النبي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهو حديث مرفوع.

و(جَرِير): **هو الصّحابي الشهير جرير بن عبد الله بن جابر البجلي**، كان جميلا، حتى قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «هو يوسف هذه الأمة»، وكان له أثر عظيم في فتح القادسية، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ في ذاكَ)، أي: اقتفِ أثر جرير بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي نقل هذا عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، (تَنْجَحُ)، والنجاح ضده الفشل، وهو الفوز وضده الخسران، فمن تمسك بهذا الأثر واعتقد معناه فإنه بلا شك ناجح رابح.

وحديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو قوله: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ ستَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لَا تُضامُّونَ فِي رُؤيَتِه، فإن اسْتَطَعْتُمْ أَن لا تُغْلَبُوا على صلاةٍ قَبْلَ طُلوع الشَّمس، وقَبْلَ غُرُوبِها**» -يعني العصرَ والفجرَ-، ثُمَّ قرأ جَرِيرٌ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].[١]

ومعنى: «**لا تُضَّامُونَ**»: بالتَّشديد، أي: لا تجتمعون لرؤيته في جهة، ولا يَنضَمُّ بعضُكم إلى بعض (لوضوح الرؤية).

وفي روايات أخرى في «الصحيح»: «**هل تُضَارُّونَ**»: من الضَّرر، أي لا يضر بعضُكم بعضا بمنازعة أو جدال أو بحجب عن الرؤية، أو حين تتضارُّون بالتزاحم للتأكد من

١- رواه البخاري (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣)، بألفاظ متعددة.

الرؤية.

وروي: «**هل تُضَامُونَ**»: من الضَّيم، وهو الظلم، فلا تُظلمون فيه برؤية بعضِكم دون بعض.

وروي: «**هل تُضَاهُونَ**»: أي لا يشتبِه عليكم ولا تَرتابون فيه فيعارضَ بعضُكم بعضا.[1]



١- انظر «فتح الباري» (١١/ ٥٤٣-٥٤٤، ١٣/ ٥٢٦)، و«الفتاوى» (١٦/ ٨٥-٨٦).

صفة اليدين لله سبحانه

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مواصلا تقرير عقيدة أهل السنة في صفات الباري سبحانه:

وقَــدْ يُنكِــرُ الجَهْمِــيُّ أَيضًــا يَمِيْنَــهُ

وكِلْتَــا يَدَيْــهِ بالفواضِــلِ تَــنْفَحُ

قوله: (وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا) أي مع ما أنكر من كلام الله وتجليَّه لخلقِه يُنكر الجهمي -تابع الجهم بن صفوان من فرق المعطلة- أيضاً (يَمِينَهُ)، أي: يمينَ الله جل وعلا، (وكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ)، جمع فاضلة، وهي النعم الجسيمة، (تَنْفَحُ)، أي تعطي وتتفضَّل، من النفح والعطاء، وفي بعض النسخ: (تَنْضَحُ)، من النَّضح، وهو الرَّشُّ والسَّقي، والكل بمعنى كثرة العطاء وجزيل المنِّ والكرم، كما قال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

قال الإمام أبو الحسن الأشعري في «رسالة إلى أهل الثغر»[١]، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأجمعوا على أنه** عَزَّ وَجَلَّ **يَسمعُ ويَرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين**». انتهى.

وفي قول الناظم هنا: (**يَمِينه**)، إثبات اليمين لله تعالى، كما جاء مصرحا به في قوله تعالى: ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وجاءت الأحاديث تارة بإثبات الشمال لله[٢]، وأخرى بأن كلتي يديه يمين.[٣]

والجمع بين هذه الأحاديث أن يُقال: إن يدي الرحمان يمين وشمال من حيث الحقيقة والاسم، إلا أنهما من جهة القوة

١- (ص ١٢٧).

٢- رواه مسلم (٢٧٨٨).

٣- رواه مسلم (١٨٢٧).

والعطاء والشرف والكمال كلتاهما يمين مباركة، ولكن لما كان الوهم ربما يذهب إلى أن إثبات الشمال يعني النقص في هذه اليد وأنها دون الأخرى، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**».[1]



١- انظر «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٩٢)، و«فتاوى ابن باز» (٢٥/ ١٢٦)، و«فتاوى ابن عثيمين» (١/ ١٦٥).

صفة النزول لله سبحانه

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقُــلْ يَنْــزِلُ الجَبَّــارُ في كُــلِّ لَيْلَــةٍ
بــلا كَيــفَ جَــلَّ الواحــدُ المتَمَــدِّحُ

إلــى طَبَــقِ الــدُّنيا يَمُــنُّ بفَضْــلِهِ
فَتُفْــرَجُ أَبْــوابُ السَّــماءِ وتُفْــتَحُ

يقُــولُ ألاَ مُســتَغفِرٌ يَلــقَ غــافِراً
ومُســتَمْنِحٌ خيــراً ورِزقــاً فيُمْــنَحُ

رَوى ذاكَ قَــومٌ لا يُــرَدُّ حَــدِيثُهم
ألا خَــابَ قَــوْمٌ كــذَّبوهُمْ وقُبِّحُــوا

فقوله: (وقُل) يا صاحب السنة بلسانك معتقدا بقلبك (يَنْزِلُ الجَبَّارُ) سبحانه، نزولا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته وجبروته، كما تواترت بذلك النصوص الشرعية والآثار السلفية، وهذا النزول يكون (في كُلِّ لَيْلَةٍ)، ولا يختص بليلة

دون أخرى.

ونزوله جَلَّجَلَالُهُ من أدلة علوه على خلقه سبحانه، قال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُٱللَّهُ لما تكلَّم على حديث النزول[١]: «**فيه دليلٌ على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة**[٢]، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم: إن الله في كل مكان». انتهى.

و(**الجَبَّارُ**) من أسماء الله الحسنى، وهو متضمِّن لمعنى الرؤوف والقهار والعلي والمتكبر. [٣]

وهذه المعاني الأربعة مناسبة للمعنى الذي قرره الناظم في هذه الأبيات، وتوضيحه:

١- «التمهيد» (٧/ ١٢٨-١٥٩).

٢- قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُٱللَّهُ: «**وأجمعوا على أنه تعالى فوق سماواته على عرشه**». «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ١٣٠).

٣- انظر «تفسير أسماء الله الحسنى» لابن سعدي رَحِمَهُٱللَّهُ (ص ١٧٦).

- أنَّ النزول الإلهي دال على علوه سبحانه.
- وهذا النزول الإلهي لائق بعظمة الله وكبريائه، فلا يماثله فيه أحد.
- وأنَّ هذا النزول من رحمة الله ورأفته بخلقه.
- كما أن استجابته سبحانه للمؤمنين من آثار قوته وقهره.

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصفا هذا النزول الإلهي بأنه (**بلا كَيْف جَلَّ الواحدُ المتَمَدِّحُ**)، فالله جَلَّجَلَالُهُ ينزل كلَّ ليلة، (**بلا كَيْف**)، وليس معنى هذا: بلا كيف موجود، إذ الشيء الذي لا كيف له لا وجود له، وإنما مقصود الناظم (**بلا كيفَ**) نعلمُه فنتحدث به، لأنَّ الله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، (**جَلَّ الواحدُ**)، أي: عَظُمَ وتقدس وتبارك، (**الواحدُ**) الموصوف بصفات الوحدانية ونعوت الفردانية، في ذاته وصفاته وأفعاله، (**المتَمَدِّحُ**)، أي:

الذي يُحب المدح، وفي الحديث: «**ليسَ أَحَدٌ أحَبَّ إليهِ المدحُ مِن الله**».[١]

وهذا النزول يكون (**إلى طَبَقِ الدُّنيا**)، أي: إلى السماء الدنيا، التي هي طبق الأرض، و(**الدُّنيا**) أي: القريبة إلى الأرض.[٢]

وفي هذا النزول (**يَمُنُّ بفَضْلِهِ**)، والمِنَّة: هي النعمة العظيمة، التي يعطيها الله لعباده (**بفَضْلِهِ**)، أي: بمحض تكرُّمه وإحسانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (**فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ**)، أي: فتكشف وتنشق وتنصدع (**أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ**) لنزول المِنَح الإلهية منها والرحمة والمغفرة، وصعود العمل والدعاء إليه سبحانه، فيستجيب ويغفر ويعطي

١- رواه البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠)، واللفظ له.

٢- «لوائح الأنوار» (١/ ٣٣٢).

ويتفضل، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يقُولُ ألاَ مُستَغفِرٌ يَلقَ غافِراً
ومُستَمْنِحٌ خيراً ورِزقاً فيُمْنَحُ

وقوله: (ألاَ مُستَغفِرٌ) أي طالبٌ غفرانَ ذنوبه، (يَلقَ) مجزوم بحذف الألف في جواب الطلب، و(غافِراً) مفعول لـ(يَلقَ)، والجملة خبر المبتدأ الذي هو (مُستَغفِر).[1]

ومعنى (مُستَمْنِح) أي: مستعطٍ، وطالب (خيراً ورِزقاً فيُمْنَحُ).

وعليه، فيكون الناظم قد جمع في هذا البيت أمرين يحصلان للذين يسألون اللهَ تعالى في الثلث الآخر من الليل:

- **الأمر الأول:** غفران الذنوب، اقتباسا من قوله تعالى: «**مَن يَستَغفِرُنِي فأَغفِرَ له**»، وهذا من باب درء المفاسد.

١- انظر «لوائح الأنوار» (١/ ٣٣٥).

- **والأمر الثاني**: منح الفضائل والأرزاق، اقتباسا من قوله تعالى: «**مَن يَسأَلُني فأُعْطِيَه**»، وهذا من باب جلب المصالح.

رَوى ذاكَ قَــومٌ لا يُــرَدُّ حَــدِيثُهم
ألا خَــابَ قَــوْمٌ كــذَّبوهُمْ وقُبِّحُــوا

قوله: (**رَوى ذاكَ**)، أي: روى هذه الأحاديث الصحيحة (**قَومٌ**) من أعلام الحديث ومصابيح الهدى، (**لا يُرَدُّ حَدِيثُهم**)، لا من جهة الأسانيد، فإنها أحاديث متواترة، ولا من جهة المتن، فهي أحاديث صريحة في أن الذي ينزل هو الله حقيقة، على الوجه اللائق به، ليس رحمته ولا ملائكته، فكل هذا تأويلات منكرة، احتوت على معانٍ فاسدة.

قال ابن عبد البر في شرح «حديث النزول»[١]: «**هذا حديث ثابتٌ من جهة النقل، صحيحُ الإسناد، ولا يختلف**

١- «التمهيد» (٧/ ١٢٨-١٥٩). وانظر «العلو» للذهبي (ص ٢١٨)، و«معارج القبول» (١/ ٣٠١).

أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق سوى هذه، من أخبار العُدول عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». انتهى.

ولهذا قال الناظم: (**ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا**)، أي: خاب وخسر من رد هذه الأحاديث، وخالف طريقة أهل السنة والحديث، ومعنى (**خابَ**)، من الخَيْبَة وهي فوت الطلب، (**وقُبِّحُوا**)، من القُبح وهو ضد الحسن، وهذا دعاء عليهم.



عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

مبحث الصحابة ليس له علاقة مباشرة بأصول الإيمان الستة التي تنبني عليها عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ولكن صار حب الصحابة شِعاراً لأهل السنة، تميزوا به عن غيرهم من الفئات الضالة كالنواصب والروافض وغيرهم.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقُـلْ إنَّ خَيْـرَ النَّـاسِ بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ
وَزِيـراهُ قِـدْمًا ثُـمَّ عُثْمَـانُ الارْجَـحُ
ورابعُهُـمْ خَيْـرُ البريَّـةِ بَعْـدَهُم
عَلِـيٌّ حَليـفُ الخَيـرِ بـالخَيرِ مُـنْجِحُ
وإنَّهـمُ للـرَّهْطُ لا رَيْـبَ فـيْهِمُ
علـى نُجُـبِ الفِـرْدَوْسِ بـالنُّورِ تَسْـرَحُ

سَـعِيدٌ وسَـعْدٌ وابـنُ عَـوْفٍ وطَلْحـةٌ

وعَـــامِرُ فِهْـــرٍ والزُّبَيْـــرُ الـــمُمَدَّحُ

فقوله: (وقُل إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ) أي: إن خير البشر، وأفضل الإنس والجن بعد النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ثم خصص منهم قومًا، وهؤلاء هم العشرة المبشَّرون بالجنة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأفضل العشرة أربعة، وهم الخلفاء الراشدون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأفضل الأربعة رجلان، وهما (وَزِيراهُ)، وهما أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، (قِدْمًا) أي: من أول الأمر وأول هذه الدعوة والبعثة النبوية.

(ثُمَّ) بعد أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الفضل (عُثْمَانُ) بن عفان، (الارْجَحُ)، بالتخفيف ليستقيم الوزن.

وقوله: (ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ)، يحتمل معنيين متقاربين:

- **المعنى الأول**: الأرجح وزناً ومكانة بالنسبة لمن بعده من سائر الصحابة غير أبي بكر وعمر، فهو ثالثهم في الفضل، كما هو ثالثهم في الخلافة.
- **والثاني**: على الراجح، إشارة إلى اختلاف السلف في تفضيل عثمان على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فالجمهور منهم على تقديم عثمان[١]، وذكر ابن تيمية في «الواسطية» أنَّ الإجماع قد استقر على هذا.

ويؤيد هذا ما جاء عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: «**كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».[٢]

١- انظر «تفسير القرطبي» (٨/ ١٤٨).

٢- رواه البخاري (٣٦٥٥). وانظر «فتح الباري» (٧/ ١٦، ٣٤).

ورحم اللهُ الإمام ابنَ المبارَك حين قال:

إِنِّـــي أُحِـــبُّ عَلِيًّـــا حُـــبَّ مُقْتَصِـــدٍ

ولا أَرَى دُونَــهُ فِــي الفَضْــلِ عُثْمَانَــا

والكلام هنا عن الأفضلية، أما مسألة الخلافة، فهذه لم يختلف فيها المسلمون قط، بل هي محل إجماع من البداية، والذي يخالف فيها هو أضل من حمار أهله، كما قال شيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «الواسطية».

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ورابعُهُـــمْ خَيْـــرُ البريَّـــةِ بَعْـــدَهُم

عَلِـيٌّ حَليـفُ الخَيـرِ بـالخَيرِ مُـنْجِحُ

فقوله: (**وَرابعُهُم خَيْرُ البريَّةِ بَعْدَهُم**)، أي أنَّ خير الخليقة بعد أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هو(**علي**) بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، (**حَليفُ الخَيرِ**) أي أن الخير يحالِفه، فهو موفق مسدد من عند الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، (**بالخَير مُنْجِحُ**) أي ظافر بالنجاح

وهو تحصيل المقصود وتحصيل الطِلبة، وفي بعض النسخ **(بالخير يَمْنَحُ)**، وفي بعضها **(بالخير مُمْنِحُ)** أي أنه يعطي الناس ويمنحهم، ففيه وصفه بالسخاء والجود والكرم.

قال السفاريني في «دُرَّته»[1] واصفًا كَرَم وشجاعة عليَّ بنَ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وافِـي النَّـدَى مُبْـدِي الـهُدَى مُـرْدِي الْعِـدَا
مُـجْـلِي الصَّـدَى يـا وَيْـلَ مَـنْ فِيـهِ اعْتَـدَى

وفي قوله: (**عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ بالخَيرِ مُنْجِحُ**)، إشارة إلى أنَّ الحقَّ كان مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفتنة التي وقعت بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

١- «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٣٣٤).

والدليل على ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَمْرُقُ مارِقَةٌ عند فُرْقَةٍ مِن المسلمين، يَقتُلُها أَوْلى الطَّائفتين بالحقِّ**»[١]، والذي قتل الخوارج هو علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قتَلهم في معركة النهروان، وهذا من أعظم مناقبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ[٢]: «فبيَّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ كل طائفة منهما تتعلق بالحق، **ولكن طائفة علي أدنى إليه**». انتهى.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ:

وإنَّهـــمُ للـــرَّهْطُ لا رَيْـــبَ فـــيْهِمُ
علـى نُجُـبِ الفِـرْدَوْسِ بـالنُّورِ تَسْـرَحُ

وجاء في بعض النسخ **(وإنهمُ والرَّهط)**، الرهط: قوم الرجل، وعددهم من الثلاثة إلى العشرة، وعليه فقوله:

١- رواه مسلم (١٠٦٤).

٢- «العواصم من القواصم» (ص ١٦٨). وانظر «فتح الباري» (٦/ ٦١٩) (١٢/ ٣٠٩).

(وإنَّهمُ للرَّهْطُ) يعني بهم العشرة المبشرين بالجنة، وإن كانت (وإنهمُ والرَّهط) فيكون المقصود بهم هنا الستة الباقون، لأن الناظم ذكر الخلفاء الراشدين وهم أربعة، ثم عطف عليهم الستة، وهم المقصودون بالرهط هنا.

وقوله: (لا رَيْبَ فِيْهِمُ) أي: لا شك فيهم ولا تُهمة، إذ لا يمتري في عدالتهم وفي فضائلهم إلا ضال هالك في الدنيا قبل الآخرة.

وكذلك لا شك في أنهم من أهل الجنة، ولهذا قال بعدها: (على نُجُب)، جمع نَجِيبة، وهي الدابة الكريمة من الخيل والنوق، أي: هم على دواب الجنة، جنة (الفِرْدَوْسِ)، (بالنُّورِ تَسْرَحُ)، أي: تسير براكبها المستضيء بالنور والحُسن والبهاء حيث شاء في الجنة.

وفي نسخة: (في الخُلْدِ تَسْرَحُ)، أي: في دار الخُلد تسرحُ.

قال العلامة السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**والحاصل أن هؤلاء العشرة مقطوع لهم بالجنة، يتزاورون على النجب في جنة الفردوس**». انتهى.

ثم ذكر هؤلاء الستة الباقين، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحَةٌ
وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

(**سَعِيدٌ**): أي سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل، (**وسَعْدٌ**): أي ابن أبي وقاص، (**وابنُ عَوْفٍ**): أي عَبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، (**وطَلْحَةٌ**): بن عبيد الله، (**وعَامِرُ فِهْرٍ**): أي عامر قُريش، والمقصود به أبو عُبَيْدَةَ عَامِر بن الجراح، (**والزُّبَيْرُ**): بن العوام، (**المُمَدَّحُ**)، أي: المتصِّفُ بالمدائح الكثيرة.

١- «لوائح الأنوار» (٢/ ٥٢).

حرمة الطعن في الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ

قال الناظم رَحِمَهُٱللَّهُ:

وقُـلْ خَيْـرَ قـولٍ في الصَّـحَابةِ كُلِّهِـمْ
ولا تَـكُ طَعَّانـًا تَعِيْـبُ وَتَجْـرَحُ

فقـد نَطَـقَ الـوَحْيُ المُبـينُ بفَضْـلِهِمْ
وفي الفَـتْحِ آيٌ للصَّـحابةِ تَمْـدَحُ

فقوله: (وقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ)، أي قل بلسانك وقلبك في الصحابة كلِّهم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أحسنَ الأقوال، وأَثنِ عليهم بأحسن الثناء، وظُنَّ فيهم أحسن الظنون بلا استثناء، فهم أهل لذلك، ولا يُبغضهم إلا هالك، عليهم رضوان الله ورحمته.

و«**الصَّحَابي: مَن لَقِيَ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مؤمنا به ومات على الإسلام، ولو تَخَلَّلَت رِدَّةٌ في الأصَحِّ**».[1]

واتَّفقَ العُلماء على أنَّ الصحابةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عُدُولٌ بتعديلِ الله تعالى لهم، فإذا كان التعديلُ يَثبُتُ بقول اثنين من الناس، فكيف لا يَثبتُ بالثناء العظيم من الله جَلَّ جَلَالُهُ ومن رسولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم.

قال العلائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «**لم يخالِف في عَدَالة الصحابةِ مِن حيث الجُملة أَحدٌ مِن أهل السنة، وإنما الخلاف عن المعتزلة والخوارج وأمثالِهم**». انتهى.

وليس المُرادُ بإثبات عدالتهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **أنَّهم معصومون،** وأنَّ المعصيةَ مُستحِيلةٌ عليهم، كلَّا! فإنَّ العِصمة للأنبياء

١- وشرح هذا التعريف في الأصل.

٢- «تحقيقُ مُنِيف الرُّتبة لمن ثبت له شريفُ الصُّحبة» (ص ٧٨).

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولكن المُرادَ ألَّا نتكَلَّف البحثَ عن عدالتهم، ولا طلبَ التزكية فيهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.[١]

وقوله: (**ولا تَكُ طَعَّاناً**)، أي: لا تكن طاعِنًا فيهم، واقعًا في أعراضهم، بنحو ذم أو غيبة ولو بكلمة واحدة، (**تَعِيْبُ**)، أي: تنسب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى العيب، (**وَتَجْرَحُ**): من الجَرح، والمقصود به هنا إسقاط العدالة، والصحابة عدول بإجماع المسلمين، كما سبق بيانه.

وسبُّ الصحابة محرم بالكتاب والسنة وهو كبيرة بالإجماع[٢]، حتَّى قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن سَبَّ أصحابي، فعليه لَعنَةُ الله والمَلائكةِ والنَّاسِ أَجمعين**».[٣]

١- انظر «شرح الكوكب المنير» للفُتوحي (٢/ ٤٧٧).

٢- انظر «الزواجر عن اقتراف الكبائر» للهيتمي (٢/ ٣٧٩).

٣- انظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٣٤٠).

وكذلك سَبُّ آلِ بَيـتِه، وأزواجِه، وتَنَقُّصُهم كلُّه حَرامٌ مَلعُونٌ فاعِلُه.[١]

والقدح في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو -في الحقيقة- قدحٌ في الله جَلَّ جَلَالُهُ، وفي رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي دينه، وفي كتابه، لأنَّ جَرحَ الناقل يعُود بالجَرح على المنقول، ومن المعلوم أنَّ الصحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هُم نَقَلَةُ الشريعة، فإذا سقطت عدالتُهم لم يبقَ ثِقَةٌ فيما نقلوه من الشريعة، وقد نبَّهَ على هذا أهلُ العلم قديمًا وحديثًا.[٢]

١- انظر «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٤٩٢).

٢- انظر «شرح أصول الاعتقاد» (٨/ ١٥٤٤) للالكائي، و«الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي (ص ٤٩).

وقد جَرَت سُنَّةُ الله سُبحانه، أنَّه ما خاض أحدٌ في عِرض صحابة رسول الله ﷺ إلا رأى الناس فيه من آيات الله عَجَبًا، وما تلَوَّثَ أحدٌ بسبِّ الصحابة إلا رأيتَهُ مُحتَقَرا ذليلًا مَهينًا في الدنيا قبل الآخرة[1]، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾[طه: ١٢٧]، لأنَّ اللهَ قد أعلنَ الحَربَ على من آذى لهُ وَليًّا واحِدًا، فكيف إذا كان هذا الولي هم سادةُ الخَلق بعد الأنبياء، وهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ!؟



١- انظر «الصارم المسلول» (ص ٥٨٧)، و«الفتاوى» (٤/ ٥٨٣)، و«ذب الإمام الشوكاني عن صحابة النبي العدناني» (ص ٤٤).

ثم قال الناظم، مُبيِّنًا فضل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومستشهدًا لذلك:

فقـد نَطَـقَ الـوَحْيُ المُبـينُ بفَضْـلِهِمْ
وفي الفَـــتْحِ آيٌ للصَّـــحابةِ تَمْـــدَحُ

قوله: (فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ): أي القرآن، (المُبينُ)، أي: الواضح الجلي، (بِفَضْلِهِمْ) أي الصحابة، (وفي الفَتْحِ) أي: سورة الفتح، (آيٌ): جمع آية، (للصَّحابةِ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، (تَمْدَحُ): بذكر فضائلهم، وتزكية ظاهرهم وباطنهم. وخصَّ الناظم آيات الفتح بالذكر لعظيم ما اشتملت عليه من المعاني البديعة والمآثر الرفيعة والمزايا العظيمة، والمناقب الجسيمة.



الإيمان بالقدر

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وبالقَـــدَرِ المقْـــدُورِ أيقِـــنْ فإنَّـــهُ
دِعَامَـةُ عِقْـدِ الـدِّينِ والـدِّينُ أفْـيَحُ

فقوله: (وبالقَدَرِ)، المقصود به: القضاء والقدر، (المقْدُورِ) أي: المقدَّر من عند الله، (أيقِنْ) أي: فليستيقن قلبك به، (فإنَّهُ) أي: الإيمان بالقدر (دِعَامَةُ) أي: أساس وعمود، (عِقْدِ الدِّين)، لأنَّ الدين كالعِقد الذي يوضع في الجيد (العُنق) وفيه خرزات، وهذه الخرزات يشدها شيء حتى لا تتفكك وتتساقط، والقدر من الأركان الأساسية التي ينبني عليها إيمان الموحدين، ولا يصح إيمان العبد إلا به، وفي حديث جبريل المشهور قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان: أنْ تُؤْمِنَ بالله،

ومَلَائِكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليوم الآخِر، وتُؤْمِنَ بالقَدَر خَيْرِه وشَرِّه».[١]

ولكن الإيمان بالقدر بعض الإيمان وليس كل الإيمان، ولهذا قال: (**والدِّينُ أفْيَحُ**) أي: أوسع، **فإنَّ مراتبَ الدين ثلاث**: إيمان وإسلام وإحسان.

والقدر من الإيمان، فهو إذن بعض الدين، ومِن أركانه العظمى، ولكن الدين أوسع من هذا.

والإيمان القدر: هو الإيمان بأنه لا يقع شيء في الوجود إلا بعلم الله الأزلي، وكتابته السابقة ومشيئته لما وقع، وخلقه له، خيرًا أو شرًّا، حلوًا أو مُرًّا.

١- رواه مسلم (٨). وفيه قال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «والذي يَحلِفُ به عبدُ الله بنُ عمرَ لو أنَّ لأحدِهم مثلَ أُحُدٍ ذهباً فأنفَقه ما قبِلَ اللهُ منه حتى يؤمن بالقدَر».

ومن لم يؤمن بالقضاء والقدر تنكَّد عيشُه، وطال طيشُه، وعصَفَت به رياحُ الشَّقاء، ولم يَزِده ذلك في دار البلاء إلَّا بلاء.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فما تعاظَمَت القُلُوب بالمصائب، وضَاقَتْ بها الأنْفس وحرجت بها الصُّدُور، إلَّا من ضعف الإيمان بالقدر». انتهى.



١- «قطر الولي على حديث الولي» (ص ٣٩٦).

الإيمان باليوم الآخر

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تُنْكِـرَنْ جَهــلاً نكِيــرًا ومُنْكَــراً

ولا الحـوضَ والـميزانَ إنَّـكَ تُنْصَـحُ

الإيمان باليوم الآخر هو **الإيمَانُ بكُلِّ ما أخبَرَ به النبيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِما يكونُ بعد الموت**. [١]

فتنة القبر وسؤال الملكين

وأول منازل الآخرة هو القبر، ومما يقع في القبر الفتنة، وهي سؤال الملكين، ولهذا، قال ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولا تُنْكِرَنْ جَهلاً نَكِيرًا ومُنْكَراً**).

فقوله: (**ولا**)، ناهية، (**تُنْكِرَنْ جَهلاً**) أي: لا تجحد لجهلك بالحديث والسنة والعقيدة الإسلامية الصحيحة (**نكِيرًا**

١- انظر كتابي «عِدَّة الباحث فيما تعلَّق باليوم الآخر من الباحث».

ومُنْكَراً)، وهما الملكان اللذان يتوليان سؤال الناس في قبورهم، وهما أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: منكر، وللآخر: نكير.

وسبب هذه التسمية أنَّهما يأتيان على صورة منكَرة لم يعهدها الإنسان، وليس فيها أُنْس للناظرين.

وفتنة القبر ثابتة في الكتاب، وتواترت بها السنة، وعليها إجماع المُسلمين.

وفتنة القبر تَعمُّ كلَّ ميِّتٍ: قُبِرَ أو لم يُقبَر، ونُسِبَت للقَبر تغليبا، لأنَّ أغلَبَ الناس يُقبَرون، وهي لا تختصُّ بهذه الأمة فقط، بل تَعمُّ جميعَ الأُمَم، فتُسأل كلُّ أُمَّةٍ عَن نَبِيِّها، وأما بَعد بِعثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيُسألُ الجَميعُ عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنَّ اللهَ أرسَله لجَميع الناس بلا استثناء. ويُسألُ كلُّ مُكَلَّف: المؤمنُ والكافرُ، والكبيرُ والصغيرُ، والمَرأةُ والرجل.

ويُستثنى من السُّؤال غير المُكلَّف، كالصبيِّ والمَجنون، ومن صحت الأخبار باستثنائه: كالنبي، لأنه يُسأل عنه، ولا يُسأل لأنَّ السؤال يَختصُّ بمن شأنه أن يَفتَتن، وممن لا يُسأل الشهيد الذي امتُحن وثبتَ بجهاده في الدنيا، والصدِّيقُ الذي هو أعلى رُتبة من الشهيد، والمُرابِطُ، ومن داوَم على قراءة سورة المُلك، ومن مات يوم الجُمعة.



حوض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

ثم قال ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا الحوضَ والـميزانَ إنَّكَ تُنْصَحُ).

أي: (ولا) تنكرن أيضًا جهلًا وعنادًا وسفهًا وإلحادًا (الحوضَ)، و(أل) فيه للعهد وبدلًا عن الإضافة، أي حوض النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فإنه حق ثابت بإجماع أهل الحق، (و) لا تنكرن أيضا (الِميزانَ)، الثابت بالكتاب والسنة والإجماع، (إنَّكَ) أيها المستمع لهذا النظم المتفهم لمنطوقه (تُنْصَحُ): من النصيحة، وهي كلمةٌ يعبَّر بها عن جملةٍ هي إرادةُ الخَير للمنصوح له.

وحوض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **حقيقي مخلوق، يكون في الموقف يوم القيامة، وهو قبل الصراط على الصحيح، يصب ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنة،** طولُه شهر وعرضُه شهر، وزواياه سواء -فهو مربع على الصحيح-، ماؤه أشدُّ بياضا

من اللَّبن والثَّلج والفِضَّة، وأطيبُ ريحًا من المِسك، وأحلى مذاقًا من العسل، وأبرَد من الثَّلج، آنيتُه أكثر من نجوم السماء عَدَدًا، ومثلُها حُسْنًا وضياءً، يَرِدُه من شاء الله من أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، من شرب منه شَربةً لا يظمأ بعدها أبدا.



الميزان يوم القيامة

فقوله: (**والميزانَ**)، أي: ولا تنكرن أيضا جهلًا وعنادًا (**الميزانَ**) الذي توزن به الأعمال من حسنات وسيئات يوم القيامة، **لأنه حق ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.**

وهو **ميزانٌ حَقيقي من جِنس المَوازين، له كِفَّتَان حِسِّيَّتان مُشَاهَدَتان**، ومع هذا، فالبابُ غَيبٌ مَحْضٌ، والله أعلم بما وراء ذلك من الكَيفِيَّات.

واختلف أهل العلم: **هل هو ميزان واحد أو موازين؟** فمِن قائلٍ: **إنها موازينُ متعدِّدةٌ، والقول الآخر -وهو الأشهر-**: إنَّه ميزان واحدٌ لجميع الأمم وجميع الأعمال، والتعبير بلفظ الموازين في بعض النصوص، راجع لكَثْرَة المَوْزونات لا لتَعدُّد المَوازين.

والميزان يكون بعد الحساب، والحكمة في ذلك -والله أعلم- أنَّه إذا انقضى الحساب كان بعده وزنُ الأعمال، لأن

الوزنَ للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، **فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها**، ليكون الجزاء بحَسَبها. [1]

واختلف أهل العلم: **ما الذي يوضع في كفتي الميزان؟ على أقوال:**

القول الأول: إنَّ الموزون هو العمل فقط.

الثاني: إن الموزون هو صحائف الأعمال.

والثالث: هو الجمع بين هذه الآثار بأنْ يكون ذلك كُلُّهُ صحيحًا، فتارةً تُوزَنُ الأعمال، وتارةً تُوزَنُ مَحالُّها، وتارةً يُوزَنُ فاعِلُها.

والقول الرابع: وهو أنَّ الكل يوزن، أي: العمل، والعامل، وصحائف الأعمال، جَمْعًا بين الأدلة.

١- انظر «التذكرة» للقرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٧١٥).

والــــوزنُ في أصـــحِّ قَـــوْلٍ للعمـــلْ
وعامِـلٍ مَـعْ صُـحْفِهِ نِلْـتَ الأمَـلْ

والحكمة من الوزن يوم القيامة أمور، منها: [1]

- امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، وهذا عام في الميزان وفي غيره من الغيبيات.
- إظهار علامة السعادة والشقاوة في الآخرة.
- إظهار فضل المتَّقين برُجحان أعمالهم في الميزان.
- إقامة الذُّل والخِزي على الكافرين، وبيان أنَّهم لا وزن لهم عند الله، كما لم يكن للإيمان بالله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قلوبهم في الدنيا وزن.
- تعريف العباد ما لهم وما عليهم من خير وشر.

١- انظر «زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ١٠٣)، و«التذكرة» للقرطبي (ص ٧٢٧)، و«البحور الزاخرة» للسفاريني (٢/ ٨٦٠-٨٦١).

- إقامة الحجة عليهم.
- إظهار عدل الله بين الناس، وأنه لا يظلم أحدا.
- بيان رحمة الله، بأن ضاعف الحسنات، وأفرد السيئات، ومع هذا الفَضل العظيم، والرحمة الواسعة، فالـهَلكَى كثيرٌ، والنَّاجون يوم القيامة قَليل، **والويل لمن غلبت آحادُه عشراتِه.**



إخراج المُوَحدين من النار إلى الجنة

قال ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقُــلْ يُخْــرِجُ اللهُ العَظــيمُ بفَضــلِهِ
مِـن النـارِ أجْسـادًا مِـن الفَحْـمِ تُطْـرَحُ

علـى النَّهـرِ في الفِـردوسِ تَحْيـا بمائـهِ
كَحِـبِّ حَميـلِ السَّـيْلِ إذ جَـاءَ يَطْفَـحُ

وإنَّ رَسُــولَ اللهِ للخَلــقِ شَــافعٌ
وقُـلْ فِـي عَـذابِ القَبـرِ حـقٌّ مُوَضَّـحُ

فقوله: (وقُلْ)، أي: أيها السُّني المُوحِّد (يُخْرِجُ اللهُ العَظيمُ بفَضلِهِ) العميم وكرمه الجسيم، (مِن النار) المعهودة التي هي نار جهنم الموقودة (أجْسادًا) بعد دخولها فيها وإصابتها من عذابها ما تستحقه منها، (مِن الفَحْمِ)، أي: بعد ما صاروا فَحمًا، والفحم: الجمر الطافي، (تُطْرَحُ): أي تُرمى وتُلقى.

وفي قوله: (**بفَضلِهِ**): إشارة إلى أنَّ هذا الإخراج من النار من فضل الله على عباده، الذي ألهم هؤلاء القوم التوحيد الذي استوجب خروجهم من النار برحمة الله سبحانه.

ومن جميل الشعر قولُ الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَـــو شـــاءَ أَن تَصـــلى جَهَـــنَّمَ خالِـــداً

مـــا كـــان أَلـــهَمَ قَلبَـــكَ التَّوحيـــدَا

وفي قوله: (**أجْسادًا**): إشارةٌ إلى أنَّه ما بقي منهم شيء -والعياذ بالله من حالهم-، ولهذا قال بعدها: (**مِن الفَحْمِ تُطْرَحُ**)، فهي أجسادٌ متفَحِّمةٌ محترقة.

ثم بيَّنَ الموضع الذي تُطرح فيه أجسادهم، فقال:

علـى النَّهـرِ في الفِـردوسِ تَحْيـا بمائـهِ

كَحِـبِّ حَميـلِ السَّـيْلِ إذ جَـاءَ يَطْفَـحُ

فقوله: (**عَلَى النَّهرِ**): مُتَعلِّقٌ بـ«تُطْرَحُ»، (**في**) جنة (**الفِردوسِ تَحْيا**): أي: تلك الأجساد بعد ما صارت فَحمًا

وطُرِحَت على النهر الذي هو في جنة الفردوس (بـ)إصابة (مَـائِهِ)، أي: ماء ذلك النهر لتلك الأجساد، وتنبت تلك الأجساد بسَيَلان ماء أنهار الجنة عليها كما تَنبُت حِبَّـةُ (حَميلِ السَّيْلِ) أي الحِبة التي يحملها السيل، وفي بعض النسخ: (كحَبَّةِ حَمْلِ السَّيْلِ)، وهما بمعنى واحد، (إذ جَاءَ يَطْفَحُ): أي: يَـفِيض.

وفي «الصحيحين»[١] قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إذَا فَرَغَ اللهُ مِن القَضاءِ بين العِباد، وأرادَ أنْ يُخْرِجَ برحمته مَن أرادَ مِن أهلِ النَّار، أَمَرَ الملائكةَ أنْ يُخْرِجوا مِن النَّارِ مَن كان لا يُشْرِكُ بالله شَيئًا مِمَّنْ أرادَ اللهُ تعالى أن يَرحَمَهُ مِمَّنْ يقولُ: لا إلَه إلَّا اللهُ، فَيَعرِفُونَهُم في النَّار، يَعْرِفُونَهُمْ بأَثَر السُّجودِ، تَأكُلُ النَّارُ مِن ابنِ آدَمَ إلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أنْ تَأكُلَ أَثَرَ

١- رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

السُّجودِ، فَيُخْرَجونَ مِن النَّارِ وقد امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياةِ، فيَنْبُتونَ منه كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ».

فقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فيَنْبُتونَ منه كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ»، أي: يَنبُتون بسببه، وأما «الحِبَّةُ» بكسر الحاء، فهي بِزْرُ البُقول والعُشْب تنبت في البَراري وجَوانِب السُّيُول، مما ليس بقوت.

وأما «حَمِيل السَّيْل»، هو الزَّبَد، وما يلقيه على شاطئه، أي: ما جاء به السَّيلُ مِن طينٍ أو غُثاءٍ، ومعناه: محمولُ السَّيل. فإذا اتفقت فيه حِبَّةٌ واستقرَّت على شط مجرى السَّيل، فإنها تنبت في يوم وليلة، والمرادُ تشبيهُ سرعة عَوْدِ أجسام المُخرَجين من النار بعد أن احترقت فيها، بسُرعة ظهور النَّبات وحُسنِه وطَراوَتِه.[1]

١- انظر «شرح مسلم» (٣/ ٢٣)، و«النهاية» لابن الأثير (١/ ٤٤٢).

قال عياض[1]: «**وتشبيهه نباتهم بنبات الحِبة لوجهين:**

- **أحدهما:** بياضُها كما ذُكر في الحديث فيهم وفيها (كاللؤلؤ).

- **والثانية:** سرعة نباتها لأنها قالوا تنبت في يوم أو ليلة لأنها لما رويت من الماء ثم ترددت في غثاء السيل وقد رويت وتيسرت قلبتها للخروج فإذا خرجت إلى طين الشط في حميل السيل غرزت عروقها فيه لحينها ونبتت بسرعة». انتهى.



١- «مشارق الأنوار» (١/ ١٧٥).

شفاعة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يوم القيامة

وبعد الإشارة إلى الشفاعة إجمالا، صرَّح بها ابن أبي داود رَحِمَهُٱللَّهُ بقوله:

وإنَّ رَسُولَ اللهِ للخَلقِ شَافعٌ

وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ

فحرف الواو في قوله: (**و**)، أي: ومما ينبغي أن يُعتقَدَ ويُقال أيضا: (**إنَّ رَسُولَ اللهِ**): محمد بن عبد الله النبي الهاشمي القرشي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ (**للخَلقِ**) جميعًا، بلا استثناء، (**شَافعٌ**)، اسم فاعل من الشفاعة، **والمقصود بها هنا الشفاعة العُظمى للخلق يوم القيامة**، وهي خاصة برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بين سائر الأنبياء والمرسلين وكافة العالمين، وهي المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

وهناك شفاعات أخرى هي له ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين، ومن ذلك الشفاعة في قوم دخلوا النار أن يخرجوا منها، والشفاعة في قوم استحقوا النار ألاَّ يدخلوها، والشفاعة في أقوام من أهل الجنة في رفع درجاتهم فيها.

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**وأجمعوا على أن شفاعة النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لأهل الكبائر من أمته**، وعلى أنه يُخرج من النار قوماً من أمته بعد ما صاروا حِمَماً، فيُطرَحون في نهر الحياة فيَنبُتون كما تَنبُت الحِبة في حَمِيل السَّيل». انتهى.



١- «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ١٦٤).

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

بعد الكلام على الشفاعة يوم القيامة، قال ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ).

فحرف الواو في قوله: (و) عطف على المسائل الجليلة التي تم بيانها في هذا النظم المبارك، و(قُلْ)، يا صاحبَ السنة قولًا بلسانك معتقدًا إياه بجَنانِك، (فِي عَذابِ القَبرِ)، ونعيمه (حقٌّ)، لا مِرية فيه، ولا يُجادل فيه إلا مُبطل، لأنَّه (مُوَضَّح) في الآيات القرآنية، وتواتر النصوص النبوية، والآثار السلفية، وإجماع أهل الحق عليه، ولا ينكره إلا معتزلي ضال.

وفي بعض النسخ: (وقل إنَّ عذابَ القبرِ بالحقِّ يُوضَحُ)، والمعنى واحد.

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: « **وأجمعوا على أن عذاب القبر حق**، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون، فيُثبِّت الله مَن أحب تَثبيته». انتهى.

واتَّفقَ أهلُ السنة والجماعة على أنَّ العذاب والنَّعيم على الروح والبدن جميعا، أي: على الروح منفردة، وحين اتصالِها بالبدن، **ووقع الخلاف بينهم في حُصُولِ العذابِ والنَّعيمِ للبدن بدون الروح.**

والحقُّ الَّذي تنصُرُه الأدِلَّةُ هو أنَّ العذابَ والنَّعيمَ على الروحِ والجَسَد مَعًا، وهذا هو الَّذي اختارَه المحقِّقُون من أهل العلم: كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العزَّ، وجماعة، وعليه علماؤنا المُعاصِرون.

١- «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ١٥٩).

وهل عذاب القبر مستمر أو منقطع؟

والجواب أن يُقال: إنَّ العذاب منه مستمر ومنقطع.

أما المستمر، فهو الذي يكون للكفار خاصة ولبعض عصاة الموحدين الذين لم يَطهُروا من خطاياهم بعدُ أو هم يُعذبون على ذنوبٍ معينة استوجبت استمرار العذاب عليهم إلى قيام الساعة.

وقد يكون العذاب منقطعا، وهذا لعصاة الموحدين خاصة، لأنه عذاب ينقطع قبل يوم القيامة، ويزول بزوال سببه.

وأما عن أسباب عذاب القبر كثيرة، ومنها: [١]

- الغيبة والنميمة والوقوع في أعراض الناس.
- والكذب، سيما الكذب الذي يبلغ الآفاق. [٢]
- وعدم التنظف من البول.
- وعدم العمل بالعلم.
- والغُلول: وهو الخِيانةُ في المَغْنَم والسَّرقَة من الغَنِيمة قبل القِسْمة.
- وتعذيب الحيوان. [٣]

١- انظر «الروح» (ص ٧٧-٧٩)، و«موسوعة العقيدة» (٤/ ٢٠٣٠-٢٠٣١).

٢- وما أكثر وأسهل ذلك في عالم التقنيات ووسائل التواصل الاجتماعي!! والله المستعان.

٣- انظر محاضرة نفيسة للعلامة محمد الخضر حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسائل الإصلاح» (١/ ١٣٩-١٤٧) بعنوان «الرفق بالحيوان».

- والكبر والخُيَلاء.
- وأكل الربا.
- والزنا.
- والنوم عن الصلاة.
- والتَّأَلِّي على الله وهو القول والحُكم عليه بغير علم.

وأما الأسباب المُنجية من عذاب القبر فهي كثيرة، جِماعها:

تحقيق التوحيد، واتباع سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاستقامة على شرعه ظاهرا وباطنا، والإكثار من محاسبة النفس، والإسراع بالتوبة، ولكن جاء التنصيص على أسباب معينة تُنجي من عذاب القبر، **ومن ذلك**[1]:

- الرباط والشهادة في سبيل الله.
- المداومة على قراءة «سورة الملك» كل ليلة.
- والموت بمرض البطن، وغير ذلك.



١- انظر «التذكرة» (ص ٤١٥-٤٢٦)، و«الروح» (ص ٧٩-٨٣).

الإيمان بين أهل السنة والجماعة ومخالفيهم

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تُكْفِـرَنْ أهْـلَ الصَّـلاةِ وإنْ عَصَـوْا
فكلُّهُـمُ يَعْصِـي وذو العَـرشِ يَصْـفَحُ

ولا تَعتقِـــدْ رَأيَ الخَـــوارجِ إنَّـــهُ
مَقَـالٌ لِمَـنْ يهـواهُ يُـرْدِي ويَفْضَـحُ

ولا تَـــكُ مُرْجِـــيًّا لَعُوبًـــا بدينِـــهِ
ألا إنَّمَـا المُرْجِـيُّ بالـدِّينِ يَمْـزَحُ

وقُـلْ إنَّمـا الإيمـانُ قَـوْلٌ ونيَّـةٌ
وفعْـلٌ علـى قَـولِ النبـيِّ مُصَـرَّحُ

ويَـنْقُصُ طَـوْرًا بالمعَاصِـي وتَـارةً
بطَاعَتِـهِ يَنْمِـي وفي الـوَزنِ يَـرْجَحُ

التحذير من تكفير المسلمين بغير حق

فقوله: (ولا تُكْفِرَنْ)، أي: ولا تحكُم بالخروج من الدين،

ولا تُـكفِّر (**أهْلَ الصَّلاةِ**)، المعهودة التي هي أحد أركان الإسلام ومباني الدين العظام، وفي هذا إشارة إلى أن من لم يكن من أهل الصلاة لا يدخل في هذا الكلام، والمصنف على مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومعلوم عند الحنابلة -في أشهر الروايتين- أنهم يكَفرون تارك الصلاة.[١]

والتَّـكفيرُ: نِسبَـةُ الشخصِ إلى الكُفر، وهو **لُغةً**: التَّغطِيَةُ والسَّترُ، **وشَرعًا**: الحكم الشرعي بالكفر على مقالة، أو طائفة، أو شخص مُعيَّن.

١- انظر «الكافي» لابن قدامة (١/ ١٧٧) ، و«الإنصاف» للمَرداوي (٣/ ٣٧).

ولشيخ الإسلام تفصيل حسن في حكم تارك الصلاة ذكره في مواضع من «الفتاوى» (٢٢/ ٤٠-٤٩) (٧/ ٦١٤-٦١٧).

وفي «الصحيحين»، واللفظ لمسلم[١]، عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّما امرِئٍ قال لِأَخِيه: يا كافِرُ، فقد باءَ بها أَحَدُهُمَا، إنْ كان كما قال، وإِلَّا رَجَعَتْ عليه**».

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «**وهَذَا غَايَةٌ فِي التَّحذِيرِ مِن هذا القول**، والنَّهيِ عن أنْ يُقالَ لِأَحَدٍ مِن أهلِ القِبْلَةِ: يا كافِرُ». انتهى.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ولا تُكْفِرَنْ أهْلَ الصَّلاةِ وإِنْ عَصَوْا**)، بارتكاب الذنوب والمعاصي، (**فكلُّهُمُ**)، أي: العباد، (**يَعْصِي**): من العِصيان وهو خلاف الطاعة، والمعصية تشمل الكبائر والصغائر، و(**وذو**)، أي: صاحب (**العَرش**)،

١- (٦٠)، وعند البخاري (٦١٠٣-٦١٠٤).

٢- «التمهيد» (١٧/ ٢٢).

العظيم الذي هو أعظم المخلوقات والعالي عليها جميعا، (**يَصْفَحُ**): من الصَّفح وهو الإعراض عن المؤاخذة، وتركُ التّثريب، وهو أبلغ من العفو.

فالله (**ذو العَرشِ يَصْفَحُ**) عن المذنبين، ويقبل توبة التائبين، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

والعرش: سرير ذو قوائم، خلقه سبحانه بيده، ولا يعلم قدره إلا الله، تحمله الملائكة، وهو أعلى المخلوقات وأعظمها وسقفها، وهو كالقبة على العالم، استوى الله عليه وارتفع استواءً يليق بجلاله، جاء وصفه في القرآن بأنه عظيم كريم مجيد.

ومُرتكبُ الكبيرة عند أهل السُّنَّة: مُؤمنٌ بإيمانِه، فاسِقٌ بكَبيرَته، لا يُعطَى الاسمَ المُطلَق، ولا يُسلَبُ مُطلَقَ الاسم،

وأمرُه إلى الله يومَ القيامة إن ماتَ على غَيرِ تَوبَةٍ، فإن شاءَ غَفَرَ له بفَضله، وإن شاءَ عذَّبَهُ بعَدله سبحانه، ويُخرِجُهُ من النار إلى الجَنَّة متى مُحِّصَ وطُهِّر، إن ماتَ على التَّوحيد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ رد على أهل الكتاب والمشركين والكفار، وفي قوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ رد على الخوارج والمعتزلة، وفي قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ رد على المرجئة.



التحذير من عقيدة الخوارج

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تَعتقِــــدْ رَأيَ الخَـــوارجِ إنَّـــهُ
مَقَــالٌ لِمَــنْ يهــواهُ يُــرْدِي ويَفْضَــحُ

(ولا تَعتقِد) بقلبك، (رَأيَ الخَوارجِ)، فسمَّى الذي هم عليه رأيًا، لأنه رأي من نتائجِ عقولهم، ومن نسجِ أفكارهم، لا يقومُ على دليلٍ من الكتاب والسنة.

و(الخَوارج): جمع خارج، وأصلُهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفارقوه بسبب قضية التحكيم، وكانوا اثني عشر ألفًا، فأرسل إليهم ابنَ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فجادلهم ووَعظهم، فرَجع بعضُهم، وأَصرَّ على المخالفة آخرون.[1]

١- انظر «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري رَحِمَهُٱللَّهُ (١/ ٨٤).

وهؤلاء الخوارج سُمُّوا بذلك لأنهم خرجوا على الجماعة من جهتين:

الجهة الأولى: خرجوا على جماعة الأديان، بالبدع الشنيعة والضلالات.

والثانية: خرجوا على جماعة الأبدان وأئمة المسلمين وحكوماتهم، بالسيف والويلات.

فخرجوا بالدين أولاً، وبالأبدان ثانيا.

وهم فرق كثيرة، يُكفِّر بعضُهم بعضًا، ولكنهم كما قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**وجميعُ فِرَق الخوارج مارِقة، وللدين القويم مُفارِقة**، إلا من أتبع هداه، وصادم هواه». انتهى.

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رأي الخوارج: (**إِنَّهُ مَقَالٌ**):

١- «لوائح الأنوار» (٢/ ٣٢٩).

شنيع، ورأى فظيع، (لِمَن)، أي لكل إنسان، (يهواهُ): ويميل إليه، ويُشرِبُه قلبُه (يُرْدِي): أي: يُسقِطُ ويُكِبُّ في هُوَّةِ الهوى، وظلام الباطل، (ويَفْضَحُ) صاحبَه، ومن انتسب إليه في الدنيا والآخرة.

وقد نقل ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإجماع على وجوب قتال هؤلاء الذين شقُّوا العصا، وفارقوا الجماعة، وشَهَروا على المسلمين السلاح، وأخافوا السبيل، وأفسدوا بالقتل والسلب، بلا حق ولا دليل.[1]

ومن تأمل قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيهم: «**الخَوارِجُ كِلابُ النار**»[2]، عَلِم حقيقةَ معنى كلمةِ الناظم عن مذهب

١- «التمهيد» (٢٣/ ٣٣٩).

٢- رواه أحمد (١٩١٣٠)، وابن ماجه (١٧٣)، والطبراني في «الأوسط» (٩٠٨٥)، عن ابن أبي أوفى، وجاء أيضا عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٤٧).

الخوارج بأنه: (مَقَالُ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ).

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «المؤمن يستر ويرحم ويرجو المغفرة والرحمة، والمَفتون الخارجي يَهتِك ويُعَيِّر ويُقَنِّط، وهذه أخلاق الكلاب وأفعالهم، **فلما كَلَبُوا على عباد الله ونظروا لهم بعين النَّقص والعداوة ودخلوا النار، صاروا في هَيئةِ أعمالهم كلابا كما كانوا على أهل السنة في الدنيا كلابا**». انتهى.

ويمكن أن يُزاد معنى آخر، وهو أنهم -أي الخوارج- يخدِمون مصالحَ الكفار على وجهٍ صاروا به كالكلاب التي تحرس حِياضَهم، وتنكأ عدوَّهم من المسلمين. والشرع والواقع يشهدان بهذا، فإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وصفهم بأنهم يقتلون أهلَ الإسلام ويذرون أهلَ الأوثان.

وفي قول الناظم في رأي الخوارج: (مَقَالُ لِمَنْ يهواهُ):

١- «فيض القدير» (٣/ ٥٠٩).

إشارة إلى أنَّ الذي هُم عليه مُجردُ أمرٍ وافق أهواءَهم، فرَكِبوه، ولهذا جاءت النصوص والآثار عن السلف بذم الهوى.

يقول الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**وأما الهوى فهو عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه يُنتِج من الأخلاق قبائحَها، ويُظهر من الأفعال فضائحَها**، ويجعل سِترَ المروءة مَهتوكًا، ومَدخل الشر مَسلوكًا». انتهى.



١- «أدب الدنيا والدين» (ص ٢٩).

التحذير من عقيدة المرجئة

قال ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تَــكُ مُرْجِــيًّا لَعُوبًــا بدينِــهِ

ألا إنَّمَــا المُرْجِــيُّ بالــدِّينِ يَمْــزَحُ

ومعناه: (**ولا**) أيها السني، (**تَكُ**)، بحذف النون تخفيفًا، (**مُرْجِـيًّا**)، أي: مرجئًا، على دين المُرجئة القائلين: (لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ولا عمل في الإيمان)، (**لَعُوبًا**)، أي: كثيرَ اللعب، إشارةً إلى كثرة تلاعُبهم بالدين، وعدم الجد فيه، إذْ ساوَوْا بين المؤمن التقي، والفاجِر الغَوِي، وهذا مِن شُؤم البدع على أهلها، وخطرها على أصحابها.

قال الإمامُ مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**مهما تلاعبتَ بشيء، فلا**

تَلعَبَنَّ بدينك».[1]

(**ألا**): أداة استفتاح، وتفيد التحقيق لما بعدها، (**إنَّمَا**)، أداة حصر، (**المُرْجِيُّ**): بياء النسبة إلى طائفه من المرجئة، وتَرك الناظم الهمز للوَزن أو هو لغة، والحق الثاني.

(**ألا إنَّمَا المُرْجِيُّ بالدِّينِ**) القويم والإيمان المستقيم، (**يَمْزَحُ**): من المُزاح والدُّعابة، وذلك أنَّ مذهبَ المرجئة ينقض عُرَى الإسلام، وهو سُلَّمٌ لترك الطاعات والجراءة على المحرمات، ولا يَرتاب ذو لُبٍّ أن هذا مزاح بالدين ولعب، **ومن نَـهَج هذا المنهج فهو على شَفَا جُرْف هار، وهو لسيرة أهل الكفر والإلحاد أقربُ منه لسيرة الأبرار.**

والإرجاء لغة: الإهمال والتأخير، **واصطلاحا**: تأخير العمل عن مسمى الإيمان.

١- «ترتيب المدارك» (٢/ ٦٥).

والمرجئة طوائف:

- **فمنهم من قال:** الإيمان مجرد معرفة القلب، وأنه لا يتبعض، ولا يتفاضل أهله فيه، وهو قول الجهمية.
- **ومنهم من قال:** الإيمان هو قول اللسان دون القلب، وهو قول الكرامية.
- **ومنهم من قال:** الإيمان هو التصديق القلبي، وهو قول الماتريدية والأشاعرة.[١]
- **ومنهم من قال:** الإيمان هو القول باللسان والتصديق بالقلب، وهو قول مرجئة الفقهاء وابن كلاب.

يقول الزُّهري: «**ما ابتُدِعَ في الإسلام بدعةٌ هي أَضَرُّ على أهله من هذه، يعني الإرجاء**».[٢]

١- وهذا هو القول الذي اعتمده متأخرو الأشاعرة، وصار يُدرَّس في كثير من جامعاتهم. انظر «الإيمان عند السلف» لآل خضير (١/ ٢٣٢).

٢- «الإبانة» (٢/ ٨٩٣).

والإرجاء سُلَّمُ الحِرمان، ومَسلَكٌ خبيثٌ ينفُذُ منه أهلُ الفِسق والعِصيان، وقد ذكر أهلُ العلم قديما وحديثًا الآثار المترتبة على قول المُرجئة في الإيمان، ومن ذلك:

- مخالفة كلام الله جَلَّجَلَالُهُ وكلام رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وما أجمع عليه السلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.
- إضعاف القوة الإيمانية عند الأمة الإسلامية.
- إضعاف القوة المادية عند الأمة الإسلامية.
- ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- فتح المجال للزنادقة والفسقة للنيل من الدين الإسلامي والسخرية به.
- التهاون بأعظم الأصول الدينية وهو توحيد الألوهية.



الكلام على حقيقة الإيمان عند أهل السنة وتفاضل أهله فيه

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقُـــلْ إنَّمـــا الإيمـــانُ قَـــوْلٌ ونيَّـــةٌ
وفعْـــلٌ علـــى قَـــولِ النبـــيِّ مُصَـــرَّحُ

فقوله: (**وقُلْ**)، بلسانك، معتقدًا بجَنانك، مذعنًا بأركانك، (**إنَّما**): أداة حصر، (**الإيمانُ**) الشرعي، الذي لا ينجو أحد بدونه، (**قَوْلٌ**) باللسان، وبالقلب أيضا، (**ونيَّةٌ**)، أي: قَصد، وهي من عمل القلب، (**وفِعْلٌ**)، بالجوارح والأركان، وباللسان كذلك.

(**علَى قَولِ النبيِّ**) محمد بن عبد الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، (**مُصَرَّحُ**)، مبتدأ مؤخر، خبره شِبه الجملة (**علَى قَولِ النبيِّ**)، أي أنَّ الـ(**قول**) والـ(**نية**) والـ(**فعل**) جاء التصريح بأنها من الإيمان في قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في أحاديثَ كثيرةٍ، فمَن قال بذلك فقولُه مَبْنِيٌّ على ما جاء عن الرسول

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومذهب أهل الحق من السلف -ومَن وافقهم- أنَّ الإيمانَ يتفاضل أهلُه فيه، فيزيد وينقص، ولذا قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بعدها:

ويَـــنْقُصُ طَـــوْرًا بالمعَاصِـــي وتَـــارةً
بطَاعَتِـــهِ يَنْمِـــي وفي الـــوَزنِ يَـــرْجَحُ

(**ويَنْقُصُ**): أي الإيمان، (**طَوْرًا**): أي مرة، (**بالمعَاصِي**): جمع معصية وهي ما يذم مرتكبها من كبيرة وصغيرة.

(**وَتَارةً**): أي مرة أخرى، (**بطَاعَتِهِ**): أي العبد المؤمن، (**يَنْمِي**)، وفي نسخة: (**ينمو**) والمعنى واحد، أي: يزيد، يُقال: نمى الشيء ينمو نموًا زاد وارتفع وكَثُر.

(**وفي الوَزنِ**)، أي: الميزان، (**يَرْجَحُ**)، أي: يَثقُل، لزيادته بالطاعات.

والإيمان لُغَةً: مُشتَقٌّ من الأَمْن: أَمِنَ يأمَنُ أَمانًا، وهو الإقرار، أو التصديق الجازم الذي يَتبعه عملٌ يأمَنُ معه المؤمنُ الغائلة أو العقوبة.

وأما الإيمان شرعًا، فقد أجمع السَّلَفُ على أنَّه **قَولٌ وعملٌ،** ومعنى قول السلف: «الإِيمَانُ قَولٌ وَعمَلٌ» أي: قولُ وعملُ القلب، وقولُ وعملُ اللسان، مع عمل الجوارح، أو قولُ القلب واللسان، وعَملُ القلبِ واللسان والجوارح.

قال الإمام ابن عبد البَر المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «**أجمع أهلُ الفقه والحديث على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، ولا عملَ إلا بنِيَّة،** والإيمان عندهم يَزيدُ بالطاعةِ ويَنقُص بالمَعصية، والطاعاتُ كلُّها عندهم إيمان...». انتهى.

١- «التمهيد» (٩/ ٢٣٨).

إذن، قولُهم: الإيمان قول وعمل، يندرج فيه أمور:

أوّلها: قول القلب: وهو تصديقه وإقراره واعتقاداته التي مَحلُّها القلب.

وثانيها: قول اللسان: وهو نطقُه بالشهادتين اللَّتين يَدخُلُ بهما العبدُ في الإسلام.

وثالثها: عمل القلب: وهو حركاتُه وإراداتُه التي لا يَصحُّ إيمانُه إلا بها، كالمحبة والخوف والرجاء والتوكّل والصَّبر.

ورابعها: عمل اللسان: وهو ما لا يؤدّى إلا به، كتلاوة القرآن وذكر الله والإهلال بالحج وغير ذلك.

وخامسها: عمل الجوارح: كالصلاة والزكاة والحج والجهاد وغيرها من الأعمال.

وعلى هذا التعريف، فإنه **يدخُل في الإيمان جميعُ المأمورات، سواء كان من الواجبات أو المستحبات، ويدخل فيه تركُ جميع**

المَنهيات، سواء كان ذلك المنهي يُنافي أصولَ الدين بالكلية أو كماله الواجب أو المستحب.

فما من خصلة من خِصال الطاعات الظاهرة والباطنة إلا وهي من الإيمان، ولا ترك محرم من المحرمات الظاهرة والباطنة إلا وهو من الإيمان.

والتفاضل بين المؤمنين يكون في أمرين:

- **في أصل الإيمان،** وهو اعتقاده وتصديقه وإقراره، خلافًا للمُرجئة القائلين بأنَّ الناسَ في أصل الإيمان سواء.
- **وفي سائر الأقوال والأعمال،** خلافًا للمُرجئة القائلين بعدم زيادة الإيمان ونقصانه.

وعبَّرَ عن هذا العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله[1]: «**والإيمان يزيد بالكمية والكيفية،** فزيادة الأعمال الظاهرة زيادة كمية، وزيادة الأعمال الباطنة كاليَـقين زيادة كيفية». انتهى.



١- «القول المفيد» (٢/ ٣٧٣).

التحذير من اتباع الرأي والقدح في أهل الحديث

قال ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَدَعْ عنــكَ آراءَ الرِّجــالِ وَقــولَهُم
فقَــوْلُ رَسُــولِ اللهِ أَزكـــى وأَشْـــرَحُ

فقوله: (ودَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم)، عَودٌ منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لتقرير أمر مهم -سبقت إشارة الناظم إليه في أول «الحائية»-، وهو: **أهمية العناية بمصادر التلقي عند أهل السنة**، ففي أول المنظومة قال: «**تَمَسَّكْ بحَبْلِ الله واتَّبعِ الهُدَى**»، وفي آخرها يقول: (ودَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم)، فإنَّ كلَّ أهلِ البدع الذين مضَى ذكرُهم آفَّـتُهم مِن جِهَة ترك الكتاب والسنة والإقبال على آراء الرجال في مقابلة النص وما كان عليه السلف الصالح.

قال: (ودَعْ) أي: ذَر واجتنب واترك، يا من يسمع هذا

النظم، (**عنك**)، غير مُـحتَفِلٍ ولا مُكترِث، (**آراءَ الرِّجالِ**): جمع رأي، وهو الفِكر والنظر، والمعنى: لا تَبْنِ دينَك وعقيدَتك على الآراء الْمُتَـكَلَّفة، والأقوالِ الْمُحدَثة، بل ابْنِها على الكتاب والسنة، ففيهما السلامة والعصمة والنجاة.

و(**الرِّجال**): جمع رجل، وذكر الرجال هنا لا مفهوم له، إذ المراد ترك آراء مطلق الناس مِن ذَكَرٍ أو أنثى، ولكن لما كان الغالب أن يكون أصحاب الرأي رجالًا خصَّهم بالذكر.

(**و**) دع عنك (**قولَهُم**)، فلا تهتم به، ولا تجعله لك مذهبا، لأنه عُرضَةٌ للخطأ، وغيرُ مَضمون لأصحابه الصوابُ، ولكن إن كنت تَبغي النجاة والفوزَ بالدرجات العالية والنعيم المقيم (**فـ**) اتَّبِـع (**قَول رَسُولِ اللهِ**) محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المعصوم من الزلل والخطأ، والموفَّق للإصابة في كل ما يُبلِّغ، لأنه لا ينطق عن الهوى، بل يَصدُر عن خيرٍ وحي يوحَى.

فهو (**أَزكى**)، أفعل تفضيل مأخوذ مِن زَكى يَزْكُو زَكاءً،

أي: فهو أطهرُ وأصفَى وأَخلَصُ وأنقَى من جميع أقوال الناس وآرائهم، لأنه خرج من مشكاة نور الهداية وينبوع عين الفلاح.

وجاء في بعض النسخ (**أولى**)، أي: بالأخذ والتقديم.

(**وأَشْرَحُ**)، أي: أَبْيَنُ وأوضح وأوسع وأفسح من مقالات المُتَحَذْلِقِين، وآراء المُتَعَمِّقِين، وتأويلات المُتَنَطِّعِين.

ونستفيد من قول الناظم: (**فقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزكى وأَشْرَحُ**)، أنَّ **مُتَّبعَ الحديث منشرحُ الصدر، مرتاح البال، ثابت الإيمان**، فإنَّ اتباع قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرحُ للصدر، وأرتحُ للفؤاد، وأدْعَى لطمأنينة النفس.

فإنَّ أكثرَ الناس سعادةً أهلُ الحديث والأثر، وأكثر الخَلق حَيرَةً أهلُ الأهواء المنتسبون زورًا إلى العقل والنظر.

والرأي ينقسم –إجمالا– إلى قسمين:

- **القسم الأول:** الرأي الصحيح أو المحمود، وهو الذي استعمله السلف، وسوَّغوا القول به والعمل بمقتضاه.
- **والقسم الثاني:** الرأي الباطل أو المذموم، وهو الذي منع منه السلف، وصاحوا على أصحابه بالذم والعيب والتحذير.

وأما على وجه التفصيل، فالرأي المحمود يدخل تحته عدة أنواع:

النوع الأول: رأي الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ.

- **والثاني:** الرأي الذي يُفسر النصوص، ويُبيِّن وجه الدلالة منها.
- **والثالث:** الرأي الذي أجمعت عليه الأمة، فإنه لا يكون إلا صوابا.
- **والرابع:** الرأي الحاصل ممن كان أهلا للاجتهاد.

وأما الرأي المذموم، فهو أيضا على أنواع:

- **النوع الأول**: الرأي المخالف للنص أو الإجماع.
- **والثاني**: إعمال الرأي في تفسير كلام الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غير ما تقتضيه اللغة العربية، والقواعد الشرعية.
- **والثالث**: الرأي المتضمن تعطيل أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة، والقواعد الكلامية الساقطة، التي جاء بها الجهمية ومن نحا نحوَهم.
- **والرابع**: الرأي الذي يرجع إلى الابتداع في الدين، وتغيير السنن وهجرها.

ومصطلح أهل الرأي مشتهر في علمي: العقيدة والفقه[1]،

فأما العقيدة: فالمراد به أهل الكلام المبتدع، الذين يُقدم

١- انظر «جامع بيان العلم» (٢/ ١٠٥٢)، و«الاعتصام» (٣/ ١٧٩).

أصحابُه العقلَ على النقل، وخالفوا عقيدة الصحابة والأنبياء بفلسفة الإغريق وزُبالات الآراء.

قال الإمام أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أَهْلُ الرَّأْيِ هُمْ أَهْلُ الْبِدَعِ**».[١]

وحالُ هؤلاء كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إنْ قُلـــتَ: قــالَ اللهُ قــالَ رســـولُهُ
فيقـــولُ جَهـــلًا: أيـــنَ قَـــولُ فُـــلانِ

وأما إطلاق الرأي في علوم الفقه، فالأشهر أن مصطلح «أهل الرأي» يُطلق على أصحاب الإمام أبي حنيفة النعمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ممن توسع في باب القياس، حتى قدَّموا آراءهم على بعض النصوص الشرعية الثابتة.

١- انظر «جامع بيان العلم» (٢/ ١٠٤٢)، و«الاعتصام» (٣/ ١٧٨، ٣٠٢).

التحذير من الطعن في أهل الحديث والأثر

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدها:

ولا تَــكُ مِــن قــوْمٍ تَلَهَّــوْا بــدينِهِم
فَــتَطْعنَ في أَهــلِ الحَــدَيثِ وتَقْــدَحُ

فقوله: (وَلا تَكُ مِن قومٍ)، يعني بهم أهلَ الاعتزال، وأهلَ الرفض والوَبال، وأهلَ الكلام المُحدَث، ممن اكتفى بالمعقول عن المنقول، و(تَلَهَّوْا) أي تلاعبوا (بدينِهم) الذي أُمِروا بتعظيم شعائره، وحفظ حدوده، (فَتَطْعنَ)، أي: تقع وتخوض، (في أهلِ)، أي: أصحاب (الحَدَيثِ): علمًا وعملا، صِدقًا واتباعًا، الذين جعلوا من الوحيين مَصدَرًا للتلقِّي، فبلغوا بذلك منازل البر والترَقِّي، (وتَقْدَحُ)، أي: في عدالتهم وصدقهم، وتنسبهم إلى الضلال والباطل.

وهذا الكلام من الناظم شامل لأهل البدع، وأهل الفسق والفجور، فإن الجميع يشتركون في الطَّعن والعيب والحَطِّ من

أهل الحق، وهذا مِن جهلِهم بدين الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن جهل شيئاً عاداه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣١].



خاتمة الشرح

ختم الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصيدته بقوله:

إذا مَا اعتقدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِه
فأَنتَ عَلى خَيْرٍ تَبيتُ وتُصْبحُ

فقوله: (إذا مَا اعتقدْتَ)، من الاعتقاد، (الدَّهْرَ): أي طيلة حياتك، (يا صَاحِ): مُرَخَّمُ صاحِب، من باب الملاطفة والتودُّد، (هذِه): إشارة إلى هذه الأصول المذكورة في هذه المنظومة، (فَأنتَ عَلى خَيْرٍ): ومستمر على هدى، لتمسكك بالمأثور، واعتقادك ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، (تَبيتُ): في أمن، مُطمَئِنَّ القَلب، (وتُصْبحُ): كذلك في أمن وأمان وطمأنينة، قد ألجأت ظهرك وأسندته إلى رُكن وَثِيق.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**التوحيدُ حِصْنُ اللهِ الأعظمُ الذي مَن دخَلَه كان مِن الآمِنين**». انتهى.

وفي نسخة: (**تُـمْسِي وتُصْبحُ**)، أي: فما دمت متمسِّكًا بهذه الأصول فنهارُك خَيرٌ، ولَيلُك خَيرٌ، وحياتُك كلُّها خَيرٌ.

فإنَّ هذه العقيدة لا تُعتقدُ في مكان دون مكان، ولا في زمان دون زمان، لأنَّها لُبُّ الإيمان، وبما أنَّ الإيمانَ جَنَّةُ الدنيا التي مَن لم يدخُلْها لم يَدخُل جَنَّـةَ الآخرة، ومِن المعلوم أنَّ نَعيمَ جنَّةِ الآخرة لا يَفنَى، فإذا دَخَلها العبد لا يُفارِقُها أبدا، فكذلك يَنبغِي للمُسلِم ألاَّ يُفارِقَ جَنَّةَ الدنيا طِيلَةَ دَهرِه، وهي الإيمان والعقيدة الصحيحة.

١- «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٤٥).

فإنَّ هذه العقيدةَ المباركةَ، مصدر لكل خير، إذ هي:

- **أساس الدين**، وروح المِلَّة، وعليها مدار قبول الأعمال، وزكاة القلب.
- **ومصدر القوة القلبية**، فإنَّ العقيدة الصحيحة خير دافع ومحرك للعمل.
- **وأمان من الوقوع في البدع والضلالات.**
- **وعصمة من سوء الخاتمة**، والموت على دين أهل الشهوات والشبهات.
- **وسبب الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة**، فعلى قدر تحققها في القلب وترجمتها عمليا في واقع الحياة يحصل للعبد من ذلك نصيبه في الأمن والاهتداء.

أهلُ الباطل يريدون إضعافَ أهل السنة ببث الشائعات بينهم

قال الناظم في آخر هذه القصيدة المباركة: «**هذا قولي، وقول أبي، وقول أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**، وقول من أدركنا من**

أهل العلم، وقول من لم ندرك من أهل العلم ممن بلغنا قوله، فمن قال عليَّ غيرَ ذلك فقد كذَب».

فقد اتُّهِمَ الناظم أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بالنَّصب[1]، أي: بنَصب العِداء لآل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فبيَّن في هذه المنظومة الرائقة أن عقيدته هي عقيدةُ المسلمين، وهي عقيدةُ الصحابة والتابعين، وهي عقيدةُ الأنبياء والمرسلين، في مسائل صفات الله جل وعلا وأسمائه، وسائرِ مباحث الاعتقاد والأمور الغيبية.

فمن قال على المصنِّف غيرَ ذلك فقد كذَب وافترى عليه، ولا أدلَّ على ذلك من هذه «المنظومة الحائية» التي كتب الله لها القبول بين المسلمين.

١- وممن دافع عن الناظم بحجة وإنصاف العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العُجاب «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» (٢/ ٥١٦-٥٢٤).

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وكلام الله ورسوله وكلام العلماء مملوء بما يَفهم الناس منه معنى فاسداً، فكان العيب في فهم الفاهم لا في كلام المتكلم الذي يخاطِب جِنسَ الناس». انتهى.

ولما عَـرَض ابنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن ضَل من المنتسبين للعلم والزهد، قال[٢]: «فأول عقوباتهم: إعراضهم عن الحق شغلا بالخلق. ومن خفِيِّ عقوباتهم: سلب حلاوة المناجاة، ولذة التعبُّد...». انتهى.

وقال المُعَلِّمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وإنك لتجد من المنتسبين إلى العلم، من يحرص على تخطئة غيره من العلماء ولو بالباطل، **حسدا منه لهم، ومحاولة لحط منزلتهم عند الناس...**». انتهى.

١- «الرد على البكري» (ص ٣٤٢).

٢- «صيد الخاطر» (ص ٢٧).

٣- «القائد إلى تصحيح العقائد» (ص ١٣).

والكلام في هذا يطول، وفيما ذكَرتُ كِفاية لمن أراد أن يَعتَبِر.

وفي آخر هذا الشرح، أقول كما قال الناظم أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**هذا قولي، وقولُ مشايخي من أهلِ السنة ممن أدركت، وممن بلغني النقل عنهم، فمن نَسَب إليَّ غيرَ هذا، فقد كذَب**».

أسألُ اللهَ أن يُحيَيني وإياك -أيها القارئ- على التوحيد والسنة، وأن يتوفانا على التوحيد والسنة، وأن يحشرنا في زمرة المتقين، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُنَ أولئك رفيقا. آمين.

تمّت[1]

١- أعدت النظر في هذا المختصر ليلة الأحد ٠٢ رجب لعام ١٤٤٢، الموافق لـ ١٤ فيفري ٢٠٢١ بمدينة «ليون» بفرنسا.

فهرس الموضوعات


خدمة
الدين الخالص


مشروع طباعة الكتب السلفية


تواصل معنا عبر تويتر
SalfiBooks